مجلة التربية والعلم – المجلد (١٦)، العدد (٢)، لسنة ٢٠٠٩

الرؤية اللونية في شعر حسان بن ثابت

د. نهى محمد عمر
قسم اللغة العربية / كلية الآداب
جامعة الموصل

القبول	الاستلام
١٥ / ١٠ / ٢٠٠٨	٠٣ / ٠٦ / ٢٠٠٨

Summary:-

For the color there is a clear appearance in the Hassan poetry, he was an effected tool in his poem expertise, he mansion the colors as a declaration and once as a sing, so these colors formed a poetry independence colors pictures and created and limited it, conclude the research about the relationship between the color and the self, and whichever was lovely by the poet and the other subject, the poem focus on the his pictures on the fourth colors, white, black, red and green, so this appearance was clear in his binging Talaiya and in his poetry subject, the white and black colors have a great chance in his interesting, so this two colors formed a big from his poetry, and was the color white was a symbol for pure and the spotless, the black color was a symbol for liveliness and growth.

الملخص

ركز البحث على الرؤية اللونية في شعر حسان بن ثابت، إذ أصبح اللون أداة فعالة في تجربته الشعرية، فقد عمد إلى استخدام الألوان بشكل تصريحي تارة وبشكل تلميحي تارة أخرى، مما يدل على قدرته ووعيه بإيحاءات الألوان ومن ثم توظيفه لها مما اكسب تجربته الشعرية طاقة جديدة، ونجد التضاد اللوني واضحاً في أبياته الشعرية كان الغرض منه تحقيق التوازن من خلال الجمع بين شيئين متناقضين، كالجمع بين اللون الأبيض والأسود ليبرز القيمة الجمالية المتحققة لهذه الألوان، كما ظهر المزج بين الألوان واضحاً كالمزج بين الأحمر والأسود في وصف الحيوان وهو ما يسمى بـ (الكميت) أي لون الفرس كما عمد.

وعمد الشا عر إلى كثرة تكرار اللون الأبيض بدلالاته المختلفة وكان وراء هذا التكرار جوانب نفسية تتوافق مع موقف النقاء والسلام والإشراق والنور وهي دلالات اللون الأبيض، أما الألوان الأخرى كالأحمر والأخضر والأسود والأصفر فقد كان لهم حضور واضح في موضوعاته الشعرية، ففي الرثاء عبر اللون الأبيض والأسود عن صورة الحزن في الإنسان، وفي موضوع المديح والفخر دل اللون الأبيض على الرفعة وا لسمو والزهو والانتصار، كما ارتبط بأصالة الأعراف والتمييز والرفعة، وفي الهجاء دل اللون الأحمر على الأعجمية وهي صفة غير محببة إلى نفس العربي، أما الأسود فقد دل على قبح الوجه واشمئزاز المنظر، وفي موضوع الوصف والغزل برز اللون الأبيض والأحمر بشكل واضح في رسم صورة جميلة للمرأة والطبيعة معا، وذلك من خلال ربط المرأة بمظاهر الطبيعة بكل ما تحمله من دلالات، فبرز اللون الأبيض رمزا للنقاء والطهارة والجمال، أما الأحمر فكان رمزا للإثارة والقوة وجذب الانتباه.

توطئة

يعد مفهوم (الرؤية) من أكثر المفاهيم تداولا في النقد الشعري العربي الحديث تنظيراً وممارسة، ولكننا نجد ان النقاد لا يتفقون على استعمال واحد لهذا المفهوم، الأمر الذي ترتب عليه هذا الغموض الذي ينتاب المتتبع، لاسيما ان هذا المصطلح (الرؤية) يتشارك في الاستخدام مع مصطلح (الرؤيا) ويتداخل معه في اغلب الكتابات النقدية العربية الحديثة ولاسيما الشعرية منها، ولعل السبب في ذلك يرجع على مستوى عام إلى عدم اكتراث النقد العربي الحديث بتدقيق مصطلحاته ومفاهيمه، كما يعود على مستوى خاص إلى ان (الرؤية) و (الرؤيا) يعبر عنها بلفظ واحد في اللغتين الفرنسية والانكليزية (Vision) فاختلط الأمر على بعض النقاد العرب المعاصرين وأصبحوا يتحدثون عن (الرؤيا) وهم يقصدون (الرؤية) او العكس(١).

فجاء في المعجم الفلسفي ان (الرؤية) تعني المشاهدة بالبصر، وقد يراد بها العلم مجازا، وإذا أطلقت (الرؤية) على المشاهدة بالنفس سميت حدسا (توقع) وقد تطلق على مشاهدة الحقائق الإلهية او على المشاهدة بالوحي أو الإدراك بالوهم او المشاهدة بالخيال(٢).

وقيل ان (الرؤية) هي فعل الحس البصري، وهي إدراك بصري لما هو روحاني ومنه الوحي والإلهام، ويلتقي بهذا مع الحلم والرؤيا وذهب (ديكارت) إلى ان الرؤية عمل ذهني يقوم على قوة الحكم بجانب انه عمل بصري، وأشار (باركلي) إلى ان البصر لا يدرك بذاته مقادير

---

[١] - ينظر: الحساسية الميتافيزيقية في الشعر الحديث، مقاربة لمفهوم الرؤيا في حركة مجلة شعر حسن مخ
مجلة جسور، ع٢/ ٣، واشنطن، ١٩٩٣ : ٩١.

[٢] - ينظر: المعجم الفلسفي، جميل صليبا، ١/ ٦٠٥.

الأشياء وأوضاعها ومسافاتها وكل ما يدركه انما هو علامات ودلائل على المسافات والأوضاع والمقادير(١).

في حين جاء مفهوم (الرؤيا) بما يرى في النوم وجمعه (رؤى)، وتطلق على أحلام اليقظة، والفرق بينها وبين (الرؤية) ان الرؤيا مختصة بالخيال والرؤيا بالعين، والرأي بالقلب ومنه رؤى المصلين وأحلام الفلاسفة(٢).

وفي موسوعة برجسون يرد تعريف الرؤية بانها من ال مفردات الشائعة حديثاً وهي مفردة غنية بالغموض والمعاني الإضافية التي تسبب مراراً مفارقات في السياق الذي تستخدم فيه، فهناك رؤية العين الطبيعية وهناك الإدراك الذي تقوده وتدعمه ذهنية عليا، وهناك الرؤيا النبوئية والرؤيا المبهجة، وتقدم الرؤية المادي الحيوي وكذلك البدائي والمثالي والروحي وقد تكون إلهاماً يمتلكه متنبئ أو شاعر أو نبي أو كاهن (٣).

وفي النقد المعاصر تستخدم (الرؤية) في معان مختلفة، فتشير إلى الصورة المرئية للشاعر ببساطة مثل المجاز، وتستخدم مرادفا للأدب ، لكن المعنى الأكثر تداولاً في النقد المعاصر هو الذ ي أعطاه النقاد التعبيريين الذين استخدموا المصطلح للإشارة إلى رؤية المؤلف العالمية (أفكاره ومواقفه وأحاسيسه واعتباراته لله والطبيعة والإنسان وانها تتضمن ان الشاعر يعبر بالضرورة عن جزء من فلسفته للحياة في القصائد التي يكتبها ، وان الخبرة الجمالية تكمن في البصر المتكون لدى القارئ لهذه الرؤية، وقد يتم في القصيدة التصريح بوضوح عن أجزاء من رؤية الكاتب لكن الكثير منها يوجد في مستويات لا يمكن إدراكها ذهنياً ويتم الكشف عنها في البنية والأسلوب والصورة واللغة الاستعارية للعمل الأدبي ، فرؤيته تمتد عبر أعماره كالنهر المترابط تتضافر أمواجه ويدعم بعضها ببعض لانها تنبثق من هم كياني(٤).

أما الشاعر فهو ذلك الرائي الذي يكشف عن بصيرتنا والمكتشف الذي يأخذ بيدنا إلى عالم جديد والقادر على تحقيق موازنة بين المكونات البصرية والمرئية للمنظور الواقعي ولمشكلات الإنسان من جهة، وبين الكشف عن العوالم الداخلية والروحية والفكرية للفنان من جهة أخرى(٥).

ويكشف شعر الروية النقاب عن كل شيء ويزيدنا معرفة بالأشياء المحيطة بنا وبل وحتى بأنفسنا لتشتمل عليه من قوة واسى إنساني وتلذذ بالجمال والعدالة، هو يكشف عما يخفيه عنا الروتين والعادة وعن وجهة الكون الخفي(٦).

---

[١] - ينظر: المعجم الفلسفي، مجموعة من العلماء ٩.

[٢] - ينظر: المعجم الفلسفي، جميل صليبا ١/ ٦١٤.

[٣] - ينظر: الرؤيا في شعر ذي الرمة، آن تحسين محمود، اطروحة دكتوراة ٦.

[٤] - ينظر: في حداثة النص الشعري دراسات نقدية، علي جعفر العلاق ٢.

[٥] - ينظر: الفن والأدب بين الرؤية والرؤيا، فاضل ثامر، جريدة الثورة، صفحة ثقافة، العراق، ١/ ١٩٨٦.

[٦] - ينظر: في حداثة النص الشعري ١٦.

وبما ان الرؤية هي أفكار ومواقف وأحاسيس واعتبارات لله والطبيعة والإنسان فلا بد من وسائل تعبر عن فهم هذه الأفكار والمواقف، واللون هو إحدى هذه الوسائل المهمة التي تعبر عن جزء من فلسفة الشاعر للحياة كما تعكس تصور معين لديه للواقع والأشياء والكون وموقفه او فلسفته او نظرته إزاء هذه القضايا، فهو وسيلة هامة من وسائل التعبير والفهم، وقد دلت الأبحاث والتجارب انه لا يزال كنزا مخبوءا لا يستطيع ان يصل الإنسان إلى قراره .... انه قوة توجيه موجبة جذابة تؤثر في الجهاز العصبي(١).

وبناءا على ذلك فاللون هو "اللونية الدالة على الهيأة التي تميز الأحمر من الأصفر المدركة بالعين لتوفر النور الذي يعمل على إثارة خلايا الدماغ فينتج عن تلك الإثارة الإحساس باللون(٢).

وللون علاقة واضحة بالشعر فقد فهم العرب هذه العلاقة فهما واضحاً قال الجاحظ "فإنما الشعر صناعة وضرب من النسيج وجنس من التصوير "(٣)، إذ يشير الجاحظ إلى علاقة الشعر بفن الرسم ، فهناك ارتباط ما بين الشاعر والرسام، فان طريقة الشاعر في تشكيل مادته تشبه طريقة الرسام على أساس "ان كليهما يهدف إلى إحداث أقصى قدر ممكن من التناسب والتالف بين عناصر مادته هذا عن طريق ما يحدثه بين أطرافه وكلماته في القصيدة"(٤) .

وأثر اللون في النفس لا يقل عن اثر الموسيقى والغناء وربما فاقهما بعض الأحيان ... حتى عده بعضهم حاسة في نفسه كالحواس الأخرى(٥)، مما دفع النقاد إلى ان "يضيف اللون إلى إلى عناصر بناء النص الشعري الأساسية وهو الموسيقى والعاطفة والخيال، و من شان تلك العلاقة الإشكالية المتلابسة بين موسيقى اللغة وموسيقى اللون ان جاز التعبير ان تنتج إيقاعاً داخليا أكثر التصاقاً بحركة الذات يمثل جوهر الموسيقى الأصل وجذرهما الجامع الذي لا شكل له سوى شكل الذات الغامض وحركتها الحية(٦).

واللون في الشعر مرتبط بطبيعة اللغة وإيحاءاتها بوصفها أداة الشاعر الفنية ووسيلة تعبيره وعن طريق اللغة يحيل الشاعر تجربته إلى وجود فني إذ "يسهم تأثير الفعل اللوني في إضفاء قدرات جديدة من الإثارة وتوسيع القابليات التشكيلية لهيكل النص خدمة للصور الشعرية"(٧).

وجد اللون في شعر ما قبل الإسلام من خلال الألفاظ المسميات التي تدل عليه وإذا نظرنا إلى شعر ما قبل الإسلام، وجدنا انه غني كل الغنى بهذه الألفاظ والمسميات التي تدل

---

[١] - ينظر: اللون، محمد يوسف همام ٥.
[٢] - دلالة اللون في الحديث النبوي الشريف في صحيح البخاري ومسلم، حمد محمد فتحي، رسالة ماجستير ١١.
[٣] - الحيوان ، للجاحظ، ج٣/ ١٣٢.
[٤] - الصورة الفنية في التراث النقدي، جابر عصفور ٣٤٧.
[٥] - اللون: ٥.
[٦] - إيقاع اللون في القصيدة العربية الحديثة، د. الهاشمي ٥.
[٧] - التشكيل اللوني في الشعر العراقي الحديث، محمد صابر عبيد، الأقلام ع ١١/ ١٩٨٩ : ١٦٩.

على الألوان فمحيطهم ووسطهم الذي ينتمون إليه فرض عليهم التعايش مع ألوان وثقوا الارتباط بها فكانت لديهم ملكة التمييز بين الألوان المختلفة حتى بالنسبة لتلك الألوان التي تقع في مجال واحد فكانت لهم مقاييس في مجال الخلقة وذوقهم الخاص في استحسانهم ألوانا معينة واستقباحهم ألوانا أخرى "فالشاعر الجاهلي أدرك خاصية الألوان وأدرك قدرتها على التعبير فاستعملها استعمالاً موفقاً ، واستخدم منها ما كان متفقا مع أحواله وظروفه ونفسيته وقد ساعدت بيئته الطبيعية وما انتشر فيها من ألوان وتوزيع من ظلال، على توزع هذه الألوان توزيعاً سليما"(١).

وجاء الإسلام وتغيرت دلالة اللون (إذ ان الألوان ومنها الأخضر على سبيل المثال الذي اتسع مفهومه ليمثل نعيم الجنة في الحياة الأخرى، وهذا المفهوم الجديد هو من نتاج الفكر الإسلامي، أما اللون الأسود، فقد اتسع مفهومه ليمثل عذاب جهنم في الحياة الأخرى واللون الأبيض كان وصفا لعدة موضوعات ....)(٢).

لقد تناول الشعراء اللون بصيغه المتعددة وجعلوا منه أداة فعالة في تجار بهم إذ ذكروا الألوان المعروفة تصريحاً وتلميحاً لذلك كان لوجوده في الشعر أهمية في تلوين الصورة ودوره في تحريك أجواء القصيدة، منذ عصر ما قبل الإسلام وحتى اليوم (٣)

وانطلاقاً من أهمية اللون في الشعر جاء هذا البحث المتواضع ليدرس الرؤية اللونية في شعر حسان بن ثابت، فقد حظي هذا الشاعر بدراسات عدة اهتمت بالجوانب التاريخية والفنية في شعره، وأكد البحث على الأبيات التي تحمل الصور اللونية سعيا للإحاطة الدقيقة باستعمالات اللون في شعره وتأكيداً للظاهرة اللونية التي امتاز بها الشاعر، اذ تطلب البحث ان ندرس الرؤية اللونية من خلال موضوعات الشعر العربي كالرثاء، والمديح، الفخر، الهجاء، والوصف، وأخيراً الغزل.

نبذة عن حياته :

نُسب حسان بن ثابت إلى أبيه فقالوا، هو حسان بن ثابت بن المنذر بن حرام، ونسبوه إلى أمه فقالوا: ام حسان الفريعة بنت خنيس بنت لوران بن عبد ود ابن ثعلبة، ولد في منتصف العقد السابع من السادس الميلادي، عاش ما يقرب مائة عام قضى أكثر من نصفها في الجاهلية، وتوفي سنة أربعين من الهجرة(٤).

---

[١] - الألوان وإحساس الشاعر الجاهلي بها، نوري حمودي القيسي، مجلة الأقلام، ع٩، السنة الخامسة، ١٩٦٩: ٧٥.

[٢] - اللون ودلالاته في الشعر العباسي، نوري كاظم منسف، رسالة ماجستير: ٣١.

[٣] - ينظر: التعبير عن اللون في الشعر العربي القديم، فولفديتريش فيشر، مجلة التربية والقلم، ع١١، ١٩٨٩: ١١- ٢٢.

[٤] - ديوانه: ٩.

كانت أسرته من الأسر المرموقة في الجاهلية والإسلام، وقد أفاد الشاعر من تلك الحياة الحافلة بالمباهج والاحداث ففي الجاهلية كان يقف بالمرصاد لشعراء قبيلة الاوس التي كانت تنصب العداء لقبيلة الخزرج.

كما أفاد الشاعر من تجواله بعد ان اطل على امارات وجالس ملوكا ومدحهم فلا بد ان يكون ذلك التجوال قد سكب على خياله السلاسة والعذوبة ورقة النغم وهذا ما لاحظناه في شعره ، وفي الوقت نفسه ، أكسبته تلك المناقضات ما بينه وبين شعراء الأوس المتانة في التعبير والقوة في الأسلوب، والذي يقلب ديوان الشاعر يجد هذا واضحا في بعض القصائد التي تحمل ملامح البادية وكل سمات البداوة من خشونة في الألفاظ وغريب المعاني وأخرى تتسم بالليونة والرقة.

ولما جاء الإسلام ودخله الشاعر صيره في بوتقته وأضفى على شعره كثيرا من تعاليمه وأحكامه التي كانت ترد كثيرا في شعره الإسلامي وخصوصا النقائض(١)، ولكن مع كل ما تقدم فقد اجمع النقاد على ان شعر حسان في جاهليته من الناحية الفنية وقوة الشاعرية كانت أجود مما قاله في الإسلام. (٢)

احتل اللون في شعر حسان بن ثابت مساحة واسعة وذلك لانه يعد محور الشعور المتغير بين زمنين : زمن انصرم قبل الإسلام المتمثل بالهجاء للمشركين والدفاع عن الدين الحنيف، وزمن حاضر هو الإسلام وهذا ما اثر في نفسية الشاعر فراح يرسم صوراً ولوحات متعددة تناسب موقفه وأغراضه.

وتختفي أخبار حسان بعد مقتل عثمان بن عفان ويظهر انه توفي قبيل مقتل الخليفة الرابع علي بن ابي طالب وقد كف بصره(٣).

الرؤية اللونية في موضوعات الشعر :

وظف الشاعر الظواهر والصور اللونية في صلب الموضوعات الشعرية، وتأتي الرؤية اللونية واضحة في موضوعات الرثاء والمديح والفخر والهجاء والوصف والغزل ، تستدعي الألوان في أداء الشاعر من منظور نفسي واجتماعي وسياسي معبرة عن صورة الإنسان، وهذا يعني ان الرؤية اللونية للشاعر يمكن ان تسجل بالصورة والرمز خلاصة موقف موحد من جزيئات المشاهدة والأحاسيس التفصيلية الآنية المحددة.

الرؤية اللونية في موضوع الرثاء:

---

[١] - ينظر حسان بن ثابت، شاعر الانصار، عبد الغني١٧ اخماس

[٢] - ينظر حسان بن ثابت١٧.

[٣] - ديوانه: ١٠.

كان حسان صادقاً في عاطفته وجميلا في تعابيره وخاصة في مراثيه للرسول محمد ﷺ فقد استطاع ان يوظف الظواهر والصور اللونية من منظور نفسي واجتماعي معبر عن صور الحزن في الإنسان ففي إحدى مراثيه للرسول ﷺ صور حالة الحزن العميق التي انتابت الأمة اجمع بفقد النبي محمد ﷺ يقول فيها : (١)

نور أضاء على البرية كلها　　من يهدي للنور المبارك يهتدى
يارب فاجمعنا معا ونبينا　　في جنة تثني عيون الحسد
في جنة الفردوس فاكتبها لنا　　ياذا الجلال وذا العلا والسؤدد
والله اسمع ما بقيت بهالك　　الا بكيت على النبي محمد
ياويح انصار النبي ورهطه　　بعد المغيب في سواء الملحد
ضاقت بالانصار البلاد فأصبحت　　سوداً وجوههم كلون الاثمد

في النص استخدام اللونين الأبيض والأسود بشكل واضح وصريح فقوله نورا أضاء يقصد به اللون الأبيض لان النور من البياض والبياض من الألوان الوضاءة والمشرقة فالنور كناية عن نور وجهه الذي أضاء البشرية، واستخدامه للون بشكل تصريحي تظهر مدى الحالة النفسية التي يعانيها، أما اللون الأسود فيظهر بقوله (اسودت وجوههم) فاللون هنا يحمل دلالة الحزن العام الذي شمل جميع المسلمين بفقد الرسول ﷺ كما ان استعماله لمفردة اللون يدل على المبالغة والشدة في استخدام اللون فتشبيه اللون الأسود بالكحل من شدة السواد يزيد النص بعدا دلاليا يحمل طابع جمالياً.

ولحسان قصيدة أخرى في رثاء الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ واصفا إياه بتلاوة كتاب الله وبإقامة العدل والمساواة بين المسلمين في ظل طاعة رسول الله ﷺ يقول فيها:(٢)

وفجعنا فيروز لادر دره　　بابيض يتلو المحكمات منيب
رؤوف على الأدنى غليظ على العدا　　اخي ثقة في النائبات نجيب

فالشاعر يصف الخليفة عمر ﷺ بالأبيض، وهو لا يقصد في اللون الأبيض بياض وجهه ولكنه أراد وصفه بالمدح ونقاء العرض من الدنس والعيوب، وتتجلى فاعلية اللون بصورة مباشرة على الوجه الظاهري فالخليفة ابيض فيه الطهارة والنقاء وجاءت صيغة التفضيل (افعل) بقوله (ابيض) لتجعل من البياض أفضل شئ يزيد المعنى توافقاً ودقة وروعة باعتبار انه أصل الألوان الذي يعبر به عن النقاوة والوضوح والطهارة، فالشاعر أراد ان يعطينا صورة لأمير

---

[1] - ديوانه: ١٥٤، وينظر: ١٤٥.
[2] - ديوانه: ٩٤.

المؤمنين مع مخزون ثقافي لديه فوصفه بالأبيض دلالة على صفاء ونقاء حسبه ونسبه وهذه صفات خليفة المؤمنين.

ويرسم لنا حسان لوحة أخرى بألوانه اثو الليل بإيحاءاته اللونية المخيفة عند فقد عزيز وذلك في رثاء أهل مؤتة فيقول في: (١)

تاوبني ليل بيثرب وهم اذا ما ناموا الناس مسهر

فاستخدامه لمفردة (الليل) دلالة على سوداوية المشهد البصري فاللون الأسود فيه العتمة والظلام وفيه الخوف والحزن فالرؤية اللونية عند حسان جاءت في استخدامه غير المباشر للون عبر الدال اللوني (الليل) وفي هذا الاستخدام تكمن بؤرة النص حيث يتجلى جمال التشكيل اللغوي في النص بانه لم يصرح للسواد مباشرة بل أشار إليه ضمنياً، ويستمر حسان في رثاءه لأهل مؤتة ويخص بالذكر زيد بن حارثة فيقول :

اغر كلون البدر من آل هاشم ابي اذا سيم الظلامة مجسر
فطاعن حتى مات غير مؤسد بمعترك فيه القنا يتكسر
فصار مع المستشهدين ثوابه جنان وملتف الحدائق اخضر

ينقل لنا الشاعر مشهدا رائعا بطريقة غير مباشرة فالمشهد البصري في فعل الصورة اللونية من خلال (لون البدر) هو اللون الضمني هنا يعطي إيحاءا للون الأبيض، فالمعروف ان القمر ليلة البدر يتسم بالبياض فضلاً عما يتم به من جمال المنظر الذي يوحي به الشاعر ، فالشاعر يشبه المرئي بالبدر في اشراقة وجهه وجمال منظره، فالتشبيه هنا منح الصورة اللونية جمالية واضحة أراد منه المبالغة في الوصف بطريقة التشبيه(٢).

كما استخدم الشاعر اللون الأخضر في وصفه للجنة حيث يقرن هذا اللون بذكر الجنة ويصفُ ما فيها من نعيم، وهو بهذا الوصف قد تأثر بالقران الكريم في وصفه للجنة بأنها دار الآخرة للمتقين قال تعالى **﴿أُولَئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ نِعْمَ الثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا﴾** (٣)

والذي يزيد من جمالية هذا اللون وروعة المنظر قوله (جنان ملتف الحدائق اخضر) مما يجعل المكان أكثر خصباً وطمأنينة وفوز بالجنة ، وقد عمد الشاعر إلى استخدام صيغة الفعل الناقص (صار) لدلالة هذا الفعل على التجدد ليؤكد من خلالها ليؤكد على ان هناك حياة بعد الموت وذلك في جنان الخلد الخضراء.

الرؤيا اللونية في موضوع المدح:

---

[١] - ديوانه: ٢٣٥ ، تأوبني: عاودني ورجع الي
[٢] - ينظر: البرهان في علوم القران، للزركشي ٢/٣
[٣] - سورة الكهف، الآية ٣١.

انصرفت رؤية الشاعر اللونية في هذا الموضوع إلى بيان كرم الممدوح وشجاعته وأخلاقه الرفيعة، لهذا كانت صوره اللونية معنوية استدعت من اللون الأبيض ان يحتل المساحة الواسعة من بين جميع الألوان فقد ارتبط الأبيض بالدلالة على أصالة الأعراق والرفعة والتميز والكرم والشجاعة والإشراق والخير والى غير ذلك من الدلالات التي تدل على الصفات الحميدة من ذلك قوله في مدح الرسول ﷺ إذ يقول فيها:[١]

مسعتصمين بحبل غير منجذم مستحكم من حبال الله ممدود
فينا الرسول وفينا الحق نتبعه حتى الممات ونصر غير محدود
ماض على الهول ركاب لما قطعوا اذا الكماة تحاموا في الصناديد
وافٍ وماضٍ شهاب يستضاء به بدر انار وعلى كل الاماجيد
مبارك كضياء البدر تضاء به ما قال كان قضاء غير مردود

فهدايته صادقة ماضية مضاء النور شاملة شموله ووجهه وضاح وكلمته مسموعة لانها من وحي ربه تعالى، فقد جمع الشاعر بين تشبيهين بليغين في البيت الرابع وتشبيها آخر بأداة التشبيه لتكتمل صورة الرجل الأمثل والداعية الهادي في إطار صورة كلية مستوحيا أجزاءها من تلك الظواهر الكونية.

وقد استخدم حسان لهذا المدح اللون الابيض الضمني لانه يناسب المدح في قوله (شهاب يستضاء به بدر انار على كل الاماجيد)، فالشاعر يصف الرسول من ناحيتين ، فيصفه من الناحية الخلقية فوجهه الكريم بدر وهو دلالة اللون الأبيض وهي السماحة والصدق والنور والإيمان، وكذلك يصفه كونه نبيا فهو سراج منير لهدايته البشرية إلى الإسلام، فهو يشبه الرسول ﷺ بالقمر من ناحية العلو والرفعة وجمال النسب فهو من اشرف البيوت العربية، وجاء تأكيد حسان على هذا المعنى من خلال تكرار دلالة اللون الأبيض الضمني من خلال التشبيه (مبارك كضياء البدر صورته)، وقد أضفى اللون الأبيض هالة من القدسية حددت خلالها مكانة الرسول ﷺ فاللون الأبيض يحمل دلالات ومعاني كثيرة، وهذا الوصف مقتبس من قوله تعالى : **﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً وَدَاعِياً إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجاً مُنِيراً﴾**[٢].

وقد وظف حسان هذا المعنى في شعره ، فهو يرسم صورة بشكل (البدر) العنصر الأساسي فيها ويستغل مفهوم البدر بما يملكه من دلالات معبرة عن الجمال ومكانته في نفوس الناس ليترك بذلك صورة حسنة عن الآخرين ، فمفهوم اللون الأبيض هنا اكتسب دلالة جديدة فأصبح رمزا للعلو والقيادة والسيادة والرفعة.

---

[١] - ديوانه ٣٦٦.
[٢] - سورة الأحزاب الآية: ٤٥- ٤٦.

ويعمد حسان في بعض قصائده إلى الجمع بين لونين من ذلك قوله في إحدى مدائحه للرسول محمد ﷺ في معركة بني قريظة يقول فيها :(١)

غداة اتاهم يهوى إليهم   رسول الله كالقمر المنير
له خيل مجنبة تعادي   الفرسان عليها كالصقور
تركناهم وما ظفروا بشيء   دماؤهم عليهم كالعبير

لقد وصف حسان ممدوحه رسول الله بـ (القمر المنير) وهو يرمز العلو في المقام والثبات وعلو الشأن والرفعة والانتصاب ودلالة القمر ترمز الى النقاء والثبات والعلو والمنعة، وقد اقتبس حسان أوصاف ممدوحه من الآيات القرآنية ووظائفها في شعره في مقام المدح، وهنا كانت دلالة اللون الأبيض (القمر المنير) على الخلق الكريم والنور والحرص على هداية الناس فصورة رسول الله بـ (القمر المنير) تشبيه الشيء بالشيء من جهة الصورة والشكل

كما يبرز في هذه اللوحة الأحمر الضمني بدلالة (الدماء) الدالة دلالة ايجابية إذ انه تجسيد عميق لقتل الأعداء والانتصار عليهم فهذه الدماء هي دماء الأعداء التي خلفتها خيول المسلمين وخاصة خيل رسول الله ﷺ، فحسان جمع في لوحته هذه بين اللون الأبيض واللون الأحمر ليؤكد على علو شان المسلمين وشجاعتهم في القتال.

ان تكرار اللون الأبيض كثيرا في لوحات الشاعر له اثر نفسي فهو يحرص كثيرا على المبالغة فيه ليعطيه إيحاءاته للتعبير عن الخير والكرم والرفعة والنقاء والقوة والبطولة وهي قمة ما يتمناها المسلم من ذلك قوله في مدح الزبير بن العوام: (٢) .

هو الفارس المشهور والبطل الذي   يصول إذا ما كان يوم محجل
إذا كشفت عن ساقها الحرب حشها   بأبيض ساق إلى الموت يرفل

يرسم حسان لوحة يصف فيها استعداد المسلمين للمعركة من خلال مدح الزبير بن العوام، ويبرز اللون الأبيض الضمني بدلالة السيف، واللون الأبيض مناسب في هذه الأبيات، لانه أجاب الدعوة التي دعته إلى نصرة الحق بالأبيض ليؤكد من خلاله على القوة التي دفعتهم إلى الحرب، لذا عزز اللون الأبيض قدرة الشاعر إلى التعبير بكل ما هو مخزون في نفسه من المشاعر ليرسم صورة سرعة استعداد واستجابة المسلم للمعركة، فجاءت دلالة اللون الأبيض واضحة عند حسان، لان معركة المسلمين ضد الأعداء انما تأتي للدفاع عن الحق وراية الحق بيضاء، فدلالة اللون الأبيض الضمني على السيف متكررة ومفهومة، ولكن حسان أراد ان يكشف عن قوة شخصية الفارس المسلم والكشف عن الحالة النفسية التي يعيشها هذا الفارس(٣).

---

[١] - ديوانه ٢٤٥.
[٢] - ديوانه: ١٩٩.
[٣] - اللون في شعر الحرب والفتوحات الإسلامية في عصر صدر الإسلام، يونس فيصل كنجو، رسالة ماجستير ١٠٩- ١١٠.

وجاء اللون الأسود عند حسان بن ثابت في تشكيل صور شعرية متعددة فهو يستخدم اللون بشكل متميز وخاصة عندما يذكر الأعداء وعاقبتهم في المعركة: (١)

فان نلق في تطوافنا والتماسنـا فرات بن حيان وهـن هالك
وان نلق قيس بن امرىء القيس بعده نزد في سواد وجهه لون حالك

فالشاعر هنا يمدح قومه ويرفع من شأنهم وفي الوقت نفسه يذكر مصير الأعداء نهاية المعركة ويوظف في مدحه اللون الأسود بالرغم من دلالته السلبية المعروفة وهو بذلك متأثر بدلالة القران الكريم بهذا اللون إذ قال تعالى: ﴿**وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُ هُمْ مُسْوَدَّةٌ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِلْمُتَكَبِّرِينَ**﴾(٢). فالأسود هو محصلة نفاق وهيئة كفر وانطباع الإنسان عن اللون.

كما ارتبط اللون الأبيض عند حسان بالدلالة على أصالة الأعراق والرفعة والتميز والكرم والشجاعة والإشراق والخير من ذلك قوله في مدحه للغساسنة:(٣)

بيض الوجوه كريمة احسابهم شم الانوف من الطراز الأول
فلبثت ازمانا طوالا فيهـم ثم ادّ كرت كانني لم افعل
اما ترى راسي تغير لونـه شمطا فاصبح كالثغام المحول

النص يحتضن اللون الأبيض بقوله (بيض) فهو استخدام واضح ومباشر أشار به إلى صفة الوجوه التي تتسم بالإشراق والرفعة والسؤدد فهذه الخصال المعنوية اتخذت من اللون الأبيض وسيلة وأداة في إظهار حسيتها وكأنها مجسمة ماثلة للعيان فهو لون الحسن والبهاء والرقة والجمال وهو لون الشرف والسناء والعرض والنقاء.(٤)

ويقرن الشاعر اللون الأبيض بكرم حسان وهذا ما يستحب من المعاني ، فهو هنا لم يقتصر على اللون المحسوس وانما فتح بابا للدلالات لان (بيض الوجوه كريمة الاحساب) تترك في النفس معاني أخرى تختلف عن الصفاء والنقاء ولاسيما عندما تضاف إليها الكرم، فهو مزج بين الصور الحسية والمعنوية فهو هنا لم يصف جمال الوجه بل أراد دلالة الكرم والجود وأصالة النسب عند الممدوح، فاللون الأبيض ضمن هذا السياق يمكن ان يحتمل ابعادا تنزه الممدوح عن الدنس.

فالرؤية اللونية في المدح هي مجازية أعطت الشاعر فرصة للتحليق في عالم الرمز والخيال الذي شكل سمة عمقت الأداء الفني عند الشاعر .

---

[١] - ديوانه ١٩٩.

[٢] - سورة الزمر، الآية :٦٠.

[٣] - ديوانه ٣٦٦

[٤] - ينظر : الألوان في اللغة والأدب، الصادق الميساوي، حوليات الجامعة التونسية، جامعة دمشق، ع ٣٦، ١٩٩٥ : ٢٧٩.

الرؤية اللونية في موضوع الفخر :

انصرفت رؤية حسان للون في هذا الموضوع إلى الحديث عن قوة وشجاعة المسلمين في ساحة المعركة، والفخر بنصرة رسول الله وطاعته، والتضحية في سبيل الله، والتسابق إلى ميادين الحياة الآخرة، من ذلك قول حسان بن ثابت وهو يصف أجواء المعركة وكيف كانت مراسيم ظهور جيش المسلمين على أعدائهم، وقد التصقت حياة المسلمين والجنود بحياة قائدهم محمد ﷺ وانهم صامدون بوجه الأعداء إذ يقول:(١)

تظل جيادنا متمطرات   تلطمهن بالخمر النساء
فلما تعرضوا عنا اعتمرنا   وكان الفتح وانكشف الغطاء
وقال الله قد يسرت جندا   هم الانصار عرضتها اللقاء
فنحكم بالقوافي من هجانا   ونضرب حين تختلط الدماء

في هذه الأبيات نجد الشاعر يبرز الأداء اللغوي في لفظه الفعل (تظل) الاستمرارية في أداء الخيل واستمرار المعركة وإحساساً بالفعل اللغوي لهذه اللوحات وربطها ربطا واعيا لدلالات ألوانها وهي تشع وتهوى بألوان أدوات القتال التي تؤدي حركات سريعة في طريقها إلى فعلها القاتل بين الأعداء، فدلالة اللون الأحمر من خلال (الدماء) فيها تعبير عن الانفعالات والعواطف الداخلية(٢)، فحسان يصف من خلال اللون الأحمر الضمني دلالة ومعنى وهو يربط القول بالفعل وهو معنى مستمد من معاني إسلامية.

ولم يكن اللون الأخضر بعيداً عن فخر حسان فقد ضمنه في شعره عند ما وصف قوة وبطولة المسلمين في المعارك التي خاضوها ضد الأعداء، بقوله فيها : (٣)

إلا ايها الساعي ليدرك مجدنا   نأتك العلى فأربع عليك فسائل
فهل يستوي ماءان اخضر زاخر   وحسي ظنون ماؤه غير فاضل
وفينا إذا شب الحرب سادة   كهول وفتيان طوال الخمائل
نصرنا أوينا النبي وصدقت   اوائلنا بالحق اول قائل

يستخدم حسان صورا جميلة من اللون الأخضر والذي أصبح يرمز إلى منازل الجنة وما فيها من النعيم ،فهو يربط هذا الرمز مع نصرة رسول الله فكأ ن الشاعر وصف لمكان الذي ينصر النبي مقدما بـ (الأخضر) أي له الجنة، اللون الأخضر كان له نصيب في سياق الفخر، ويتجلى هذا الل ون أكثر ما تجلى في سياق الفخر بالشجاعة وهو يتناسب مع مقام النعمة والخصب.

---

[١] - ديوانه: ١٩ – ٢٠.
[٢] - ينظر: اللون في شعر الجهاد والفتوح الإسلامية في عصر صدر الإسلام ١٢٨.
[٣] - ديوانه: ١٨٢ – ١٨٣.

واللون الأخضر بدلالته هذه يعد مكافأة قيمة لهؤلاء الفتيان الذين قاتلوا وصبروا في مواجهة الأعداء، فهو رمز ودلالة على الجنة ومنازل الشهداء في الجنة[١].

كما انصرفت رؤية حسان للون في هذا الموضوع إلى الحديث عن عدة المعركة كالسيف والدرع والراية لانها من وسائل الدفاع عن الإسلام، فكان لابد من التأكيد على أهميتها لخوض المعارك، وقد عبر الشاعر عن هذه العدة بالألوان ليشكل جوا جماليا معبراً من خلالها عن عدة المعركة، فهي الوسيلة المهمة في الانتصار وفيها ينال المسلم الأجر والثواب، ومن هذه العدة السيف فلننظر مثلا إلى قول حسان في إحدى قصائده :[٢]

لله در عصابة لاقيتهم يا ابن   الحقيق وانت يا ابن الاشرف

يسرون بالبيض الرقاق اليكم   مرحا كأسد في عرين مغرف

حتى اتوكم في محل بلادكم   فسقوكم حتفا ببيض قرقف

في الفخر الإسلامي فان التشبيه بالأسد غالباً ما يظهر الوجدان الجماعي وبخاصة في الأشعار الجهادية، فاذا افتخر الشاعر المجاهد انشد ما يصور بفخره ايمانه فيضرب أمثلة من التضحية في سبيل الله، وهنا يظهر دور التشبيه بالأسد الضاري فهو يقاتل العدو، فيغلب بنصر الله لانه مع الجماعة المسلمة (الأسود) وفي الأبيات استخدام واضح وصريح للون الأبيض بقوله (البيض الرقاق) و (حتفا ببيض)، فالشاعر يخاطب قادة اليهود الذين خانوا العهد مع رسول الله ﷺ بان السيوف الرقاق حدت القطع رؤوسهم فالبيت فيه إشارة إلى قوة المسلمين وشجاعتهم في المعركة، فدلالة اللون الأبيض واضحة.

فالشاعر عبر عن السيوف بالأبيض، فوصفت بالبيض حتى غلبت الصفة على الموصوف فأضحت اسما لها[٣]، وذلك لانه من أهم عدة المعركة والتي لها دلالة وتأثير في سير المعركة فهو وسيلة النصر لذلك ارتبط اللون مع السيف ارتباطاً وثيقاً، كما انها تتوافق مع موقف النقاء والسلام والإشراق والنور وهي دلالات اللون الأبيض، لهذا نجد كثرة وصف السيف باللون الأبيض عند الشاعر، كما فيه التحفيز على تحقيق النصر.

أما الدروع فهي بزة الفارس العربي وعندما يرتديها يشعر بالفخر والاعتزاز فلننظر إلى ما قاله حسان في وصف الدروع: [٤].

وحمل الديات وفك العنا   ة والعز في الحسب الفاخر
بكل متين اصم الكعوب   وابيض ذي رونق باتر
وبيضاء كالنهر فضفاضة   تثنى بطول على الناشر

---

[١] - ينظر: الرسم واللون، محي الدين طالو ٧١

[٢] - ديوانه: ١٦٥.

[٣] - نظرية اللون، يحيى حمودة ٤

[٤] - ديوانه: ٤٢٠، وينظر ٣١٤، ٣٩٢.

يتبين لنا في هذه الأبيات انها تحتضن عنصر اللون الأبيض بقوله (ابيض ذي رونق) و(بيضاء كالنهر) وهذا استخدام مباشر بطريقة تصريحية ، فالجانب الجمالي للون الأبيض يحمل الوضوح والنقاء والصفاء وقوله (العز، الحسب، رونق) كل دلالات على معاني الفخر للون الأبيض الضمني، ويظهر اللون الأبيض داخلاً في إطار سياق النص، ويأتي التشبه في الصورة اللونية ليزيد جمالية هذه الدلالات، فتشبيه الدرع الأبيض بالنهر معنى متعارف تعاوره الشعراء كثيرا إلا ان حسان يعد خير من استقصى وصف الدرع، لأنه على اطلاع واسع بما يتركه اللون الأبيض من اثر حسن في نفوس من يعنيهم فالأبيات ذات صورة لونية مركزها الأساسي اللون الأبيض والصورة التشبيهية هي التي منحت النص بعده الدلالي، وتكرار اللون الأبيض والمبالغة فيه يعطي دلالات ومعاني الرفعة والإباء وحسن الهيئة وهي صفات بارزة في القتال.

وهكذا نجد في موضوع الفخر كثرة تكرار اللون الأبيض بدلالاته المتعددة والتي جاءت من الحالة النفسية للشاعر والتي أراد من خلالها تأجيج البطولة والشجاعة في نفس المقاتل، لذلك نلمس جوانب نفسية وراء تكرار (الأبيض – البيض).

الرؤية اللونية في موضوع الهجاء :

تتصرف رؤية الشاعر في هذا الجانب إلى بيان مساوئ المهجو وعدائه وسوء أخلاقه من ذلك قوله في هجاء سعد بن أبي سرح:[١]

اعبد هجين احمر اللون فاقع　　　موتر علباء القفا قطط
وكان ابو سرح عقيماً فلم يكن　　　له ولد حتى دعيت له بعد

فالشاعر يشكك في نسب ابي السرح ويطعن في أخلاقه ويستخدم لهذا الطعن عدة ألوان منها اللون الأسود في قوله (اعبد) وهي دلالة على وضاعة المهجو وخسته أما قوله (احمر اللون) إشارة واضحة وصريحة إلى الاستخدام المباشر التصريحي للون عبر الدال اللوني (الأحمر) أي انه هجين والعرب تسمي غير العربي احمر، كما انه يحدد درجة هذا اللون بقوله (فاقع) مما يؤكد قدرة حسان الجمالية على التصوير والإبداع وان له مجال واسع في عالم الرمز والخيال فاللون الأحمر كان وسيلة الصورة الكنائية في الطعن والتعريض بنسب الأعداء، وهذا ما كان يركز عليه حسان في شعره.

كما يوظف حسان اللون الأحمر في دلالته على الهجاء وإشارته إلى الأعجمية في هجائه لبني عوف بن عوف: [٢]

---

[١] - ينظر: اللون في شعر ذي الرمة ، شيماء خير فاهم ، رسالة ماجستير ٦٧.
[٢] - ديوانه: ٢٠٥ ، علباء: عصب العنق ، جعد قطط أي شديد الجعودة

ولم يكن اللون الأسود ببعيد عن هجائه فهو الآخر ضمنه في شعره فيقول في هجائه لقوم مزينة بعد ما كف بصره فضحك به بعضهم:(١)

ابوك ابوك وانت ابنه　　　فبئس البُنيّ وبئس الاب
وامك سوداء نوبية　　　كان انامِلها الحنظب

استخدم الشاعر اللون اللون بصورة مباشرة من خلال قوله (سوداء) فاقترن السواد هنا بالوجه أراد به الاستهزاء والسخرية، فاجتماع اللون الأسود في الوجه يشكل قبحا واشمئزازا لا مثيل له.

ويرسم الشاعر لنا لوحة أخرى بألوانه للتعبير عن أصالة النسب وعراقته محققاً من خلالها الانسجام والتوازن بين هذه الألوان، فيقول في هجائه لهند بنت عتبة:(٢)

لمن الصبي بجانب البطحاء　　　في التراب ملقى غير ذي مهد
نجلت به بيضاء انسة　　　من عبد شمس صلته الخد
تسعى إلى الصياح معولة　　　ياهند انكِ صلته الحرد
فإذا تشاء دعت بمقطرة　　　بان السواد لحالك جعد

فالشاعر يهجو هند بلزنا والفجور، وان هذا الصبي الذي ولدته جارية آنسة بيضاء الحديث هو اشبه بها، وان كان قد ظهر سواد الصياح في شعره الأسود الجعد القطط، وتكمن القيمة الجمالية في هذا النص في تحقيق التوازن لهذا الجمع بين لونين متناقضين في البي ضاء انسة الح ديث والأسود في شعر الغلام الجعد ، فالتناقض قائم بين الأبيض والأسود وهذا التناقض يحقق الجمالية.

إن استدعاء الشاعر للظواهر اللونية في موضوع الهجاء كان هدفه ان تخلق نظرته اللونية اثارا نفسية ضارة في خصومه.

الرؤية اللونية في موضوع الوصف :

يعد الوصف من الموضوعات الشعرية التي عرفت في عصر ما قبل الإسلام وشاعت على ألسنة الشعراء، فقد برع الشاعر حسان بن ثابت في رسم الطبيعة بألوانه الجذابة واستطاع تصويرها تصويراً ابرز فيه جمالها وكشف عن عظمة خالقها سبحانه وتعالى، وقد انعكس هذا التصوير على شعره حين وقف ذلك الشعر عند الطبيعة وتعامل معها تعاملاً حياً، وتفاعل مع عناصرها، ومن ابرز تلك الصور مشاهد الطلل ووصف الحيوانات.

الرؤية اللونية في مشاهد الطلل :

---

[١] - ديوانه ١١٧- ١١٨.
[٢] - ديوانه ٢١٣ .

يعد الطلل من أقدم إشكال المقدمة الطللية التي أرساها الشعراء وعنوا بها واستكثروا منها، فهو من أهم الموضوعات التي ترددت في القصيدة العربية "لعلاقتها الوثيقة بإنسانية الشاعر الجاهلي وتنازعه مع ميوله وعواطفه وماضيه وحاضره "[1] وحسان بن ثابت "ابن قرينة يعد من المكثرين بوصف الأطلال ، فقد استهل ما يقرب من خمسة عشرة قصيدة بوصف الإطلال وأطال فيه وحافظ على تقاليده"[2]

فمن خلال وصفه للإطلال عني بتحديد مواقع المنازل وبتعداد ما صمد من آياتها مثل النؤى والاثلفي والأحجار فكثيرا ما وقف عند الأطلال يبكي منها ويستذكر أيامه بها ورفاقه مما تثير عواطفه الجياشة، والألوان في هذه المشاهد تمثل حافزا قويا لها فهي "المعبرة عن تصورات الشاعر وما تختزنه من ذاكرته من ذكريات وأيام تحركها ألوان الأثافي وما تبقى من هذه الديار من نؤى وأحجار مصبوغة بالدخان ورمال فضلاً عن المشاهد اللونية لبعض الطيور والبقايا المتناثرة هنا وهناك"[3].

لقد جاءت الصور اللونية في شعر حسان محركة لأحاسيسه ومشاعره ومثيرة لشجونه من ذلك قوله في إحدى مقدماته الطللية:[4]

هل رسم دارسة المقام بباب ببــاب   متكلم لمحـاور الجواب

ولقد رأيت بها الحلول يزينهم يزينهـم   بيض الوجوه ثواقب الاحساب

فدع الديار وذكر كل خريدة خريــدة   بيضاء آنسة الحديث كعاب

واشك الهموم إلى الله وما ترى   من معشر متألبين غضـاب

استحضر حسان في هذه الأبيات الأداء باللون الأبيض الصريح في تشبيه الجميلات (خريدة بيضاء انسة) وهي المرأة البكر التي لم تمس قط، وهذا التشبيه له الأثر الواضح في النفس وله حضور فعال في حياة القوم، فهو يأمر بالابتعاد عنهن مع صعوبة هذا الأمر على النفس البشرية، ولكنه اختبار لقوة إيمان المقاتلين، وهذه رسالة يريد إيصالها إلى الآخرين، بانهم خرجوا إلى المعركة من اجل غاية سامية فكان لا بد من التخلص من كل ما يجذب الإنسان إلى الأرض ويمنعه بالفوز بما هو اكبر، لذلك جاء بفعل الأمر بقوة في شعره فـ (دع) بمعنى اترك كل ما يشغل الإنسان في الحياة واترك كل جميل فيها، فحسان انتهج في هذه الأبيات الطريقة التي درج عليها بعض الشعراء من قبل من الانتقال من المطلع إلى الغرض من القصيدة دون تمهيد إلا بتراكيب أو عبارات وهو ضرب يمثل تخلصا من موضوع إلى آخر ، فالشاعر هنا

---

[1] - الطبيعة في الشعرالجاهلي، نوري حمودي القيسي: ٢
[2] - مقدمة القصيدة العربية في الشعر الجاهلي، حسين عطوان: ١١٥.
[3] - اللون في شعر ذي الرمة: ٢٧
[4] - ديوانه: ٦٧ .

اكتفى بالمطلع وبيت آخر ليخلص منهما بلفظ (دع) في سياق أكثر لينصرف في إلى الحديث عن الهموم الجماعية وهموم المسلمين التي يشكوها إلى الله تعالى بسبب تآلب المشركين وقوى الشر المعاندة لحرب المسلمين(١).

وللون الأبيض ودلالاته (بيض الوجوه ثواقب الأعداء) عند حسان حضورا بما تحمله من دلالات على جلالة قدر احسابهم فوجوههم بيض من حسن أفعالهم واحسابهم، فالشاعر يربط اللون الأبيض مع الاحساب واللون الأبيض مع المرأة الجميلة البيضاء، وهو بهذا الربط أراد ان يظهر كل ما يحمله اللون الأبيض من الدلالات ليرفع من خلالها حسب ونسب المسلمين المشاركين في المعركة، فوصفه ببياض الوجه جاءت رمزا ودلالة على الشجاعة والتضحية

وأضاف حسان دلالة جديدة للون الأبيض بقوله (بيضاء انسة) وهي صورة انتصار الإنسان على النفس، فالشاعر ركز من خلال اللون الأبيض على رسوخ الإيمان في قلب المؤمن وذلك بانتصاره على نفسه والشيطان ، كما كان اللون الأبيض رمزا لترك ملذات النفس والتوجه إلى المعركة.

وحسان بهذا الربط متأثر بالقران الكريم في قوله تعالى: **﴿وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾**(٢).

وإذ استرسلنا في الحديث عن علاقة المرأة بالطلل والطبيعة لاستوقفنا نموذج أخر من وصف حسان للمرأة والطبيعة التي خالطها والمشاهد التي رآها والأشياء التي تأثر بها قوله واصفا محبوبته شعثاء(٣).

انظر خليلي ببطن جلق هل   تؤنس دون البلقاء من احد

انظر خليلي ببطن جلق هل   المحبس بين الكثبان فالسند

يحملن حواً حور المدامع في الر   يط وبيض الوجوه كالبرد

فالشاعر في هذه القصيدة المرحة، الفتية المنزع، الخفيفة الظل، يذكر جلق والبلقاء وبصرى ، وجبل الثلج، وهي مواقع في بلاد الشام، فيصف لنا تأثيرها في نفسه وعلاقة هذه المواقع بشعثاء، فهو يحرص على ذكر هذه المواضع في ديار الغساسنة، فهذه الأساليب فيما يقول احد الباحثين ترتبط في أذهان الشعراء بتجارب شخصية (٤).

فحسان ذكر هذه الأماكن لفرط تعلقه بجمالها واستذكارا لما لقي منها من الحفاوة و التكريم، وربما كانت هذه الأماكن تمثل معنى الحبيبة او مقام قومها فهو يجد في ذكراها عزاء ومسلاة.

---

[١] - ينظر: الامالي في الأدب الإسلامي، ابتسام مرهون الصفار ٦٥.

[٢] - سورة آل عمران ١.

[٣] - ديوانه: ١٦٦. وينظر ديوانه ١٤٩.

[٤] - ينظر: قراءة ثانية لشعرنا القديم ، مصطفى ناصف ٦٢

وفي البيت الثالث استخدام واضح وصريح للون الأبيض بقوله (بيض الوجوه) في وصفه لهذه المرأة التي تجمع من رموز الجمال الشيء الكثير فيصف النساء ذوات الشفاه السمراء وهي رموز الجمال عند العرب وأيضاً العيون الحور ويضعن الملاءات البيض فضلا عن وجوههم البيض كالبرد فهو يقرن اللون الأبيض بالوجوه لان النور من البياض والبياض من الألوان الوضاءة المشرقة، فاللون الأبيض يحمل دلالة النقاء والوضوح والإشراق، فالشاعر أراد ان يعطينا صورة لوجه المرأة مع مخزون ثقافي لديه فوصفها بالأبيض دلالة على الجمال والروعة والصفاء، وهنا تكمن دلالة اللون الأبيض لهذا النص فهو عنصر جمالي يبرز فيه مظاهر الجمال اللوني لهذه الصور الجميلة التي تجمع رموز الجمال التقليدية عند العرب.

والتخصيص بالحور العين يعطي جمالية غاية في الروعة وهي "جمع حوراء التي يشتد بياض العيون، وسواد سوادها، وتستدير صدفها، وترق جفونها "[١] وهي صفة تدل على جمال العيون وملاحتها وحسنها وصفائها لذا يتجسد التضاد اللوني بين الفاتح على اشد ما يكون والادكن على أقوى ما يكون، والجمالية اللونية لبنية ال تضاد تكمن في تحقيق التوازن من خلال الجمع بين شيئين متناقضين.

وقد عمد حسان إلى التدرج في الألوان متحدثاً عن اللون الأبيض والأسود والأحمر المائل إلى السواد ليوائم أوصافه وأغراضه التي يعبر عنها وهذا ما قال عنه احد الدارسين بان اللون الواحد يمثل عدة ألوان معينة لا لوناً واحدا تنطوي تحته مجموعة من الدرجات اللونية.[٢]

لقد كانت الأطلال ينبوعا لونيا اظهر فيه الشاعر قدرته على توظيف الأثر النفسي للألوان فلننظر إلى قوله في إحدى مقدماته الطللية:[٣]

لمن الـدار أقفرت ببواط   غير سفع رواكد كالغطاط
تلك دار الألوف أضحت خلاء   بعد ما قد تحلها في نشاط
دارها إذا تقول مال ابن عمرو   لجَّ من بعد قربه في شطاط
بلغاها بانني خيـر راع   للذي حملت بغير افتراط
رب لهو شهدته أم عمـرو   بين بيض نواعم في الرياط
مـع ندامى بيض الوجوه كرام   نبهوا بعد خفقة الاشراط

يقف الشاعر على أطلال الحبيبة الراحلة متعجبا من بقاء أثارها "هذه البقايا عميقة الأثر في نفس الشاعر لأنها مرتبطة بمن يحب فليست جمادات ....وإنما هي إحياء ذوات معان ودلالات "[٤] والأثافي هنا احد هذه البقايا لونها حسان بالسفعة والسفعة كما يقول ابن سيدة "سواد مشرب حمرة

---

[١] - لسان العرب ٤/ ٢٢٠، مادة (حور).
[٢] - ينظر: مبادئ النقد الأدبي ايفيرا ارمسترونك ريتشاردز ٢١.
[٣] - ديوانه ٢٩٠.
[٤] - الغزل في العصر الجاهلي، احمد محمد الحوفي ٣٤٢

والسفعة والسفع سواد وشحوب في وجه المرأة وبه سم ـيت الاثافي سفع "[1] لما فيها من سواد وشحوب بعد انطفائها وفي هذا دلالة على الارتباط الرمزي بين الاثافي والمرأة وعامل الارتباط هو اللون.

فالشاعر أراد ان ينقل لنا صورة حية بألوانه لعبت الدهر وقضائه بديار احبته، وهذه الصورة الملونة ظلت في ذهنه أمداً طويلاً.

ويسترسل الشاعر في تعداد الألوان فنراه يصف الملابس البيضاء التي ترتديها محبوبته بقوله (بين بيض نواعم) ومخالطته الكرام في المجالس بقوله (بيض الوجوه كرام) فنجد ان اللون الأبيض له حضور واضح في هذه الأبيات بما يحمله من دلالات الحسن والجمال والنقاء للمرأة، أما قوله (بيض الوجوه كرام) فنجد ان الشاعر قرن اللون الأبيض بكرم الاحساب وهذا ما يستحب من المعاني فهو هنا لم يقتصر على اللون المحسوس وانما فتح بابا للدلالات لان (بيض الوجوه كرم) تترك في النفس معاني أخرى تختلف عن الصفاء والنقاء ولاسيما عندما تضاف إليها الكرم، فهنا مزج بين الصورة الحسية والمعنوية، فهو لم يقصد جمال الوجه والملابس وانما قصد دلالة الكرم والجود فاللون الأبيض في هذا السياق يمكن ان يحتمل أبعاداً تنزه الحبيبة عن الدنس، كما ان الأبيات تظهر علاقة الضد ما بين الأسود المتمثل بالسفع واللون الأبيض المتمثل بالملابس البيضاء، فمن هذا المنطلق يتحقق التصور الجمالي للون عبر التعبير عن بقايا الطلل وجمال الحبيبة بالتضاد اللوني وهو قيمة جمالية وبلاغية.

فحسان يصدر في مقدماته عن دوافع حياته وصدق تجربته لذا جاءت ألوانه تعبيراً عن ذاته مشاعره لحظة وقوفه عند طلل الحبيبة، فيقول في قصيدته التي يفخر بها بيوم بدر:[2]

تبلت فؤادك في المنام خريدة　　　تسقي الضجيع ببارد بسام

كالمسك تخلطه بماء سحابة　　　او عاتق كدم الذبيح م　　دام

نفج الحقيبة بوصها متنضد　　　بلهاء غير وشيكة　　الأقسام

بنيت على قطن اجم كانه　　　فضلاً　إذا قعدت مداك رخام

وتكاد تكسل ان تجئ فراشها　　　في لين خرعبةٍ وحسن قوام

اما النهار فلا افتر ذكرها　　　والليل توزعني بها　　أحلامي

في هذه الأبيات نجد ان حسان وصف ج سد المرأة هنا وصفاً تفصيلياً واتى بما لم يكن مألوفاً لديه من قبل، فهو لم يذكر أي من أسماء النساء اللاتي اعتاد ذكرهن في قصائده، وانما ظل اسم المرأة مجهولاً ، ولكنها بقيت حاضرة بأوصافها فقد أسقمته وذهبت بعقله هذه الخريدة الحسناء

---

[1] - المخصص، لابن سيداه س/ ٢ / ١٠٦.

[2] - ديوانه٤١٨.

الناعمة التي سقته الخمر القديم الحمراء وهنا يأتي اللون الأحمر بقوله (كدم الذبيح المدام) ليشكل جزءا أساسياً من نسيج السياق وذلك من خلال ربط المرأة بالنماذج الجميلة فالشاعر يصف فم الحبية بارد بسام يخلطه بماء سحابة او خمرة حمراء وكأن فاها ثقب ماءٍ بارد ممزوج بخمره معتقه من خمر بيسان.

فحسان يصف الخمرة بانها حمراء قانية بقوله (كدم الذبيح) فيشبهها بلون الدم وهو الأحمر القاني وهو بهذا التشبيه يحدد درجة اللون، وتبدو أهمية هذا اللون بكونه "من بين الألوان جميعا هو اللون المثير الذي يسترعي انتباه الجميع ويحوز على إعجابهم وقد دعي بحق اللون العالمي"[1].

ونجد التقابل اللوني بين لوني الأبيض المتمثل بالنهار والأسود المتمثل بالليل وان لم يكن الشاعر قد صرح بهما وانما عبر بهما بطريقة غير مباشرة من خلال الدال اللوني لهما وهذا ما ينم عن دورهما المحوري والأساسي ضمن سياق الأبيات المتمثل بالأبيض والأسود فالألوان هنا ليست خالية من الدلالة النفسية والوجدانية بل كانت معبرة عن حالة الشاعر.

وهكذا كانت الألوان حاضرة في المقدمات الطللية فقد كانت الألوان تشكل في جانب منها ظاهرة اجتماعية وإنسانية.

الرؤية اللونية في وصف الحيوان :

يعد اللون عنصرا مهما من عناصر الدلالات والرموز التي تتحدث عن الحيوان ، ويتمثل هذا الأمر بالأبيات الشعرية التي تحمل هذه الرموز في شعر حسان، وهذه الألوان منها ما يتعلق بالمظهر الخارجي حيث ان لهذه الألوان أبعاد ودلالات لان ذلك اللون لم يكن ظاهرة بصرية فقط وإنما تجاوز ذلك إلى دلالة جمالية وذهنية ونفسية [2]، فضلا عن دلالات أخرى قد يثيرها اللون نفسه عندما يرد في سياقات مختلفة، فالبحث يحاول ان يستنطق فعالية اللون وجماليته حسب السياق.

ومن هذه الحيوانات الخيول العربية إذ كان لها شأن عظيم عند العرب، وبلغ حبهم لها وإعجابهم بها ان جعلوا لها نسباً وأكرموها، وكثيرا ما كان المسلمون يفخرون بها، لننظر مثلاً إلى قول حسان في إحدى قصائده في غزوة بدر واصفا فيها الإبل والخيل: [3]

أقمنا على الرس النزيع لياليا   بأرعن جرار عريض المبارك

---

[1] - علم النفس في حياتنا اليومية، سمير شيخاني ٣٣

[2] - ينظر: جمالية اللون في شعر زهير بن ابي سلمى، موسى ربابعة، مجلة أبحاث اليرموك، ع٢ ، ١٩٩٨، ٢٠٠٠.

[3] - ديوانه: ٣٤٩_٣٥٠ .

بكل كميت جوزه نصف خلقه   وقب طوال مشرفات الحوارك
ترى العرفج العامي تذري أصوله   مناسم أخفاف المطي الرواتك
إذا ارتحلوا من منزل خلت انه   مدّ من أهل المواسم المتعارك
نسير فلا تنجوا اليعافير وسطنا   ولو والت منا بشد مواشك
دعوا فلجأت الشام قد حال دونها   جلاد كأفوان المخاض الاوراك

وضع حسان في مشهده للخيل عدة تقسيمات وملامح ووضع لهذه التقسيمات ألوانها الخاصة بها فلكل لون دلالته التي ترفع بها من شأن الخيول، فقد مزج بين اللون الأحمر والأسود في تعبيره عن نوع من الخيول تسمى ب . (الكميت) والكميت لون بين الأحمر والأسود فالخيول التي لها هذه الصفة تنفرد عن مثيلاتها من الخيول، لانها تمتاز بصفة القوة والممارسة في القتال، فالشاعر رسم صوراً للمعركة ولأجواء القتال فيها وهي تتبعث مما يدور في هذه المعركة من عمليات حربية تخيلها الشاعر بغية بث الرعب في نفوس الأعداء وتصوير شجاعة المسلمين، لذا تجلت تجمعات الألوان في صورا الخيل وما تثيره الخيل من غبار تعطي المعارك ألوانا سوداوية ورمادية تتجاوب في الغالب مع ألوان السيوف(١).

ولون الكميت لون شاع في لوحات المعارك للخيل ، وهي صورة لونية جميلة استعم لها حسان في الأداء اللوني حتى ان هذه الالون امتزجت فولدت مشاهد توصف بها الخيول ودورها في الفتوحات السلامية ، ويبدوا ان حسان عندما وصف المعارك التي خاضها المسلمون وقد استحضر في أدائه اللوني الأثر النفسي لبعض الصفات اللونية في الخيل ، ففي الصفات اللونية اثر جمالي وهي تؤدي دورا عمليا واضحا في حياة الناس.

وتشير تداعيات اللون الأحمر ومدياته إلى قسوة هذا اللون وفعله التاثيري في أجواء المعركة حينما يرمز إلى الدماء وكثرة سيلانها في الحروب وهي دلالة تجعلها أكثر حضوراً في أجواء المعارك التي يكثر فيها الالتحام بين المقاتلين، لذا كان اختيار حسان للون الأحمر (الضمني) ب(الكميت) والتي يبرز فيه اللون الأحمر مناسباً في هذه الأبيات وهو إشارة ودلالة على قوة الخيل من خلال لونها.

ان للبيئة العربية أثراً واضحاً في سياق النص، فالإبل هي خير وسيلة بل الوسيلة الأساسية لكل رحلة وتنقل من مكان إلى آخر، كما انها وسيلة لبلوغ الغاية، ليس فقط الإبل بل ان الخيول هي الأخرى رافقت الشاعر في ترحاله، وهذا الامر جعل من الشاعر ان يذكرهما في شعره ويفصل القول في ألوانها بطريقة غير مباشرة فيقول في إحدى قصائده مفتخراً:(٢)

فساروا إليهم باثقالهم   على كل فحل هجان قطم

---

[١] - ينظر: اللون في شعر الحرب والفتوحات الإسلامية في صدر الإسلام ١٤٣ .
[٢] - ديوانه: ٤٣٠ .

جياد الخيول باجنابهم   وقد جللوها ثخان الادم
على كل سلهبة في الصيان ض   لا تسكين لطول السام
وكل كميت مطار الفؤاد   امين الفصوص كمثل الزلم

فاللون في هذه الأبيات تمظهر من خلال لونين، الأول وهو الإبل الهجان أي اللون الأبيض، والثاني هو لون الفرس (الكميت) وهو لون الحمرة الذي يخالطه السواد، والحكمة من هذا الجمع بين الحمرة والبياض هو مراعاة لل ذوق العام والخاص، فالذوق الخاص هو المرتبط بالعرب، لانهم أحبوا البياض في الابل واستحسنوه، فهي اكرم الابل وكذلك الأحمر الممزوج بالأسود في الخيول، وهي صفة القوة الممارسة في القتال، اما الذوق العام فهو مراعاة ذوق الناس بعامة، فالجمالية تكمن في ان الجمال يكون في حين يضرب بالمثل، الإبل الهجان بالكرم والضيافة والفرس الكميت بالقوة والنفاسة.

ووفقاً لما تقدم يمكن القول ان الشاعر استوفى ألوانه من البيئة العربية ووظفه ا بأسلوب يدل على معرفة ودراية فاظهر مقدرته في التلوين كما حقق المتعة الجمالية له ولمتلقي شعره.

الرؤية اللونية في شعر الغزل :

كانت المرأة ولا تزال الملهمة التي تكاد تكون الأولى للشاعر حسان فهي رمز يشع بالحياة متعدد الرؤى والظلال، فعندما أراد الشاعر ان يخرج مكنونات نفسه لم يجد أفضل من المرأة لكي يعبر عن ما فيها من مكنونات المشاعر والعواطف والرؤى والأفكار، فهي وسيلة من وسائل تعبيره الفني وإبداعه القولي.

وكثيرا ما تتوحد الطبيعة والمرأة في شعر الغزل على صعيد الصورة الشعرية المؤثرة، إذ يستعيد الشاعر أدواته الفنية وألوانه من الطبيعة وهو يرسم لوحة المرأة بألوانه الرائعة، لأنها معين الشاعر في الإفصاح عن أهوائه تجاه المرأة ونزعاته فهي غنية بالدلالات التي تصل إلى حد التضاد الذي يشي بطبيعة المرأة وحالاتها المتباينة، ولان الشاعر مولع بالمرأة والطبيعة كليتهما، فانه لا يرى الطبيعة بمنأى عن المرأة.

وشاعرنا حسان حضري الذوق تعجبه حياة الحضر، كما تعجبه المرأة الحضرية المنعمة المترفة وهو ليس ممن يؤثرون المرأة البدوية البعيدة عن أسباب الحضارة والرفاهية (١). ومما يدل على ذلك قوله في إحدى قصائده:(٢)

من درة اغلى الملوك بها   مما تريب حائر البحر

---

[١] - ينظر: حسان بن ثابت، احسان النص .
[٢] - ديوانه: ١٩٠ .

بيضاء لو مرت بذي نسك   يتلو الزبور يلوح في الزبر
وتبتل عن كل فاحشــة   سكن الصوامع رهبة الوزر
لرأيته حران يذكرهـا   تحتار رؤيتها على الذكر
بذت نساء العالمين كمـا   بذا الكواكب مطلع البدر

في هذه الأبيات نجد الطبيعة تتحدث بلسان الشاعر بأعذب الأوصاف وأجملها، فقد استكمل حسان في هذه الأبيات الشعرية وصفه لحبيبته النضيرة وشبهها بالدرة التي تربى بالصدف في البحر يغالي بها الملوك والتجار، وهنا يريد حسان ان يمازج بين صورتين للمرأة، الصورة الأولى هي المرأة الحبيبة وهي الظاهرة والصورة الأخرى، هي المرأة المثال التي تجتمع فيها كل المواصفات مما شاع في الاثنين رموزا مقدسة، ويظهر تأثر حسان برؤية الرهبان المنقطعين في الأديرة للعبادة يقرأون الكتب السماوية، هذا الراهب لو رائ حسنها وجمالها وهي تمر به مجرد مرورا لأثارت فيه لوعة الفتنة واحتار بين النظر إليها وبين قراءة أنجيله.

أما اللون في هذه الأبيات، فنجد ان الشاعر قد استخدم اللون الأبيض غير المباشر في قوله (الدرة) ليبرز جمال المرأة في نضارة بشرتها ونقاء أديمها وبياضها، فالشاعر عمد إلى ذكر الدرة، إلى فصل عنصر من عناصر صورة المرأة مكونا به صورة جزئية موسعة تضاف إلى الصورة العامة، والدرة من العناصر المكونة لصورة المرأة ولاسيما عند تصويرها بالبياض، فالشاعر هنا يأخذ أجمل ما في الطبيعة من أعمقها غورا من قاع البحر امرأة من الدر المكنون في أعماق البحر ويضعها في أترف طبقة بين الناس طبقة الملوك ثم يعرضها على ازهد الناس وأبعدهم عن الترف لكنهم أيضاً طبقة عليا في مجتمع العبادة والزهد حتى إذا انتهى من قاع البحر رفعها إلى السماء وما في جمالها من النادر المتلألئ لألأة النجوم بقوله (بذا الكواكب مطلع البدر) فنها إشارة واضحة للون الأبيض، لانه يجعل من المرأة طبقة في مجال السماء على نساء العالمين فيأخذ من ضوء البدر ، وهو اللون الأبيض بانتشاره وسطوعه واشراقته التي تخفي كل كوكب قريب من هالته مقيما مفارقة إبداعية بين المتناقضات.

وفي مقطوعة أخرى يعرض لنا حسان صورة أخرى من صور الجمال للمرأة عندما يصف ريق حبيبته بالخمر فيقول:[1]

وكان فاها ثغب بـارد   في رصف تحت ظلال الغمام
شج بصهباء لها سورة   من بيت رأي عتقت في الخيام
عتقها الحانوت دهرا فقد   مرّ عليها فرط عام فعـام

فالشاعر هنا يختار أجود أنواع الخمور وهي (الصهباء) ويشبهها بريق حبيبته، فريق الحبيبة مرّ وبارد كهذه الخمرة المعتقة، وقوله (شج بصهبلء لها سورة) إشارة واضحة إلى استخدام اللون

---

[1] - ديوانه ١٨٩ .

الأحمر الضمني المتمثل بالدال (الصهباء) لما لهذا اللون من الإثارة والقوة والفعل [1]، فدلالة اللون الأحمر هنا تعبير عن العواطف والانفعالات الداخلية في نفس الشاعر . ويسترسل الشاعر في وصف حبيبته قائلاً:[2]

تدب في الجسم دبيبا كما   دب دبي وسط رقاق هيام
من خمر بيسان يغالي بها   درياقة تسرع فتر العظ   ام

فحسان يشبه طعم ثغرها بما يسيل من المياه من جبل متراصف الحجارة نقي عذب مزج بخمرة حمراء معتقة عتقها صاحبها دهرا طويلاً كي يربح منها ربحاً وفيراً تدب في جسم شاربها كما يدب النمل في ارض رملية لينة مستوية قد استوردها تاجرها من بيسان غالية الثمن تشفي العل يل وتسرع بأثرها حتى تصل نشوتها إلى عظام شاربها فيصيبها بالفتور فالشاعر يحدد هنا درجة اللون الأحمر القاني وهو من الألوان الحارة وهو هنا يناسب هذه الأبيات لانه يتحدث عن مشاعر وانفعالات داخلية فيصف أشواقه ولوعته تجاه محبوبته، إلا انه يصرح بهذا اللون وهو الأحمر عندما يصف ساقي هذه الخمرة بانه اعجمي ذو برنس مشدود الحزام سريع الاستجابة لداعيه فيقول:

يسعى بها احمر ذو برنس   مختلف الذفرى شديد الحزام
اروع للدعوة مستعجل   لم يثنه الشأن خفيف القيام

فالشاعر في هذه القصيدة عمد إلى ذكر اللون الأحمر تصريحاً تارة وضمنياً تارة أخرى وذلك ليستدعي انتباه الجميع إلى جمال محبوبته ويجوز على اعجابهم بها.

ويرسم لنا الشاعر لوحة تشكيلية أخرى من عدة ألوان ليصل من خلالها إلى غرضه في القصيدة وهو هجاء الزبعري فيقول في مقدمة غزلية:[3]

من ع النوم بالعشاء الهموم   وخيال إذا تغور النجوم

من حبيب أصاب قلبك منه   سقم فهو داخل مكتوم

يالقوم هل يقتل المرء مثلي   واهن البطش والعظام سئوم

شانها العطر الفراش ويعلو   ها لجين ولؤلؤ منظوم

لو يدب الحولي من ولد الذر   عليها لاندبتها الكلوم

لم تفقها شمس النهار بشئ   غير ان الشباب ليس يدوم

---

[1] - نظرية اللون٤ .
[2] - ديوانه: ١٨٦ .
[3] - ديوانه: ٨١٠ .

تعد هذه القصيدة من روائع شعر حسان الإسلامي، وفيها من جودتها ما يعطي الدليل الكافي على تألق حسان وإبداع شعره في الإسلام[1].

جاء الغزل هنا محاطا بهالة من رموز الطبيعة المتعددة فقد بدأ حسان بالحديث عن ما ينتابه من هموم اذما اقبل العشاء وتغورت النجوم، وامتنع عليه النوم ويمضي في تصويرها حبيبته، فهي ناعمة مترفة همها العطر يزينها حلي من فضة ولؤلؤ منظوم لو دب الذر على جلدها الرقيق لادمتها الكلوم، وجاء استخدام الشاعر للون الأبيض هنا بصورة ضمنية بقوله (لؤلؤ منظوم) ليبرز جمال صاحبته في بياضها ونقائها وصفائها وقوله (شمس النهار) إشارة ضمنية إلى اللون الأصفر لما تشعه أشعة الشمس من ضوء وحرارة، فحبيبته وهاجة ومنيرة في كل الأوقات بجمالها وحسنها.

وقد تكون هذه الحبيبة هنا رمزا للمسلمين المقاتلين في يوم احد، فكما هو معلوم، كانت خسارة المسلمين يوم احد للمعركة بعد ان كانوا منتصرين بسبب ترك الرماة أماكنهم سعياً وراء الغنائم، وما الغنائم سوى زينة للحياة من فضة ولؤلؤ منظوم، فاللون الأبيض هنا رمزاً للجمال من الدنيا، لهذا لم يستطع حسان البوح مباشرة باللون الأبيض حتى لا يشفي غليل أعداء الإسلام من المشركين فالهموم طغت عليه وملأت قلبه، انما هي هموم الهزيمة لا يستطيع البوح بها امام دلالة اللون الأصفر بقوله (شمس النهار) فهو دلالة على التنبيه بعدم الانشغال بالحياة الدنيا، وهذه من دلالات اللون الأصفر، فجيوش المسلمين كانت منتصرة بداية النهار، غير ان هذا الانتصار، لم يدم طويلا فكانت الهزيمة على جيش المسلمين، وهذا تصوير رائع لهذا الحدث الجلل.

وهكذا كانت نظرة المرأة في غزل حسان حقيقة تارة ورمزية تارة أخرى وامرأة غائبة عن نظره وحاضرة في وعيه تحمل اللون الأبيض بكل ما فيه من دلالات فتمثلت في وعيه الشعري نابعة من وجدانه قد أحاطها بشيء من المظاهر الحسية.

الخاتمة

في هدي التحليل الذي جئنا به توصلت إلى النتائج الآتية:

- عمد الشاعر إلى استخدام الألوان بشكل تصريحي تارة، وبشكل تلميحي تارة أخرى، مما يدل على قدرته ووعيه بإيحاء اللون، ومن ثم توظيفه لها مما يكسب تجربته طاقة جديدة تضاف إلى الطاقات الأخرى التي أمد بها تجربته الشعرية.
- التضاد اللوني الموجود في أبيات حسان بين الفاتح على اشد ما يكون والغامق على

---

[1] - ينظر: حسان بن ثابت، احسان النص

أقوى ما يكون ، من اجل تحقيق التوازن من خلال الجمع بين شيئين متناقضين، ومن اجل إبراز القيمة الجمالية لهذه الألوان.

- كثرة تكرار اللون الأبيض بدلالاته المتعددة جاءت من الحالة النفسية للشاعر إذ أراد من خلالها تأجيج البطولة وا لشجاعة في نفس المقاتل ، كما نلمس جوانب نفسية وراء تكرار (الأبيض . البيض) تتوافق مع موقف النقاء والسلام والإشراق والزهور وهي دلالات اللون الأبيض.
- في موضوع الرثاء استطاع حسان ان يوظف الصور والظواهر اللونية من منظور نفسي واجتماعي معبر عن صورة الحزن في الإنسان فكان استعماله للون الأبيض والأسود بشكل واضح وصريح.
- وفي المديح كان للون الأبيض حضورا واضحا للدلالة على الرفعة وال سمو الزهو كما ارتبط اللون الأبيض بدلالات أخرى تدل على أصالة الأعراق والاحساب والأنساب وعلى الكرم والشجاعة ... الخ من الصفات الحميدة.
- وفي الفخر كان اللون الأبيض والأخضر من أكثر الألوان استعمالاً فالأبيض ورد ذكر دلالاته أكثر من مرة أما دلالات اللون الأخضر في هذا السياق هو دلالة على الجنة والفوز بالحياة الآخرة.
- وفي الهجاء استدعى ال شاعر الظواهر والصور اللونية ليترك أثاراً نفسية ضارة في خصومه ومن اجل إبراز عيوب مهجويه فكان اللون الأحمر والأسود من أكثر الألوان استخداماً فالأحمر لانه يدل على العجم والأسود دلالة على قبح الوجه استئمزاز المنظر.
- وفي موضوع الوصف، كانت الألوان حاضرة في وصف مشاهد الطلل ووصف الحيوان فقد كانت الألوان في مقدماته الطللية محركة لاحاسسيه ومشاعره إذ مثل اللون الأبيض الحضور الأكبر من بقية الألوان لأنه منه وصف لبقايا وأثار محبوبته لا أما وصف الحيوان فقد برز لون (الكميت في الخيل) وهو الأحمر المائل إلى السواد من أكثر الألوان استخداما نظرا لإعجاب العرب قديما به، فهو يدل على القوة والممارسة في القتال
- وفي موضوع الغزل استطاع حسان ان يرسم صورة جميلة للمرأة من خلال اللون الأبيض والأحمر ، وذلك من خلال ر بط المرأة بمظاهر الطبيعة، وبذلك انعكست ألوان الطبيعة على المرأة بكل ما تحمله من دلالات، فاللون الأبيض في المرأة رمز للنقاء والصفاء والطهارة. والجمال أما اللون الأحمر فكان رمزاً للإثارة وجذب الانتباه.

المصادر والمراجع

١. أساس البلاغة، أبو القاسم محمد بن عمر الزمخشري (٥٣٨هـ)، دار صادر، بيروت، ١٩٧٩م.
٢. أسرار البلاغة في علم البيان، عبد القاهر الجرجاني (ت٤١٧هـ)، وتعليق السيد محمد رشيد رضا دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٧٨م.
٣. البرهان في علوم القران، للإمام بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي (ت٧٩٤هـ) تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الإحياء المكتبة العربية، ط ١، ١٩٥٨م.
٤. حسان بن ثابت، إحسان النص، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٥.
٥. حسان بن ثابت شاعر الأنصار ، عبد الغني خماس، مكتبة النهضة، بغداد، ط١ ١٩٨٨.
٦. الحيوان، الجاحظ، تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون، ط ١، شركة ومكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، ١٩٤٣.
٧. الرسم واللون، محي الدين طالو، مكتبة أطلس، دمشق، ١٩٦١م .
٨. شرح ديوان حسان بن ثابت، ضبطه وصححه، عبد الرحمن البرقوقي.
٩. الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي، د .جابر احمد عصفور، دار الثقافة للطباعة والنشر، ١٩٧٤م.
١٠. الطبيعة في الشعر الجاهلي، د . نوري حمودي القيسي، دار الإرشاد والطباعة والنشر والتوزيع، ط١، ١٩٧٠.
١١. الغزل في العصر الجاهلي، د.احمد محمد الحوفي، دار القلم، بيروت، لبنان، د.ت.
١٢. علم النفس في حياتنا اليومية، سمير شيخاني، دار الأفاق الجديدة، بيروت ط ٥، ١٩٨١م.
١٣. في حداثة النص الشعري . دراسات نقدية، د . علي جعفر العلاق . دار الشؤون الثقافية العامة . بغداد ١٩٩٠ .
١٤. قراءة ثانية لشعرنا القديم، د. مصطفى ناصف . دار الأندلس . د.م، ١٩٨١.
١٥. لسان العرب، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور (ت٧١١هـ) دار صادر، بيروت، ط٦ ، ١٩٦٠م .
١٦. اللون، محمد يوسف همام، مطبعة الاعتماد، ط١، ١٩٣٠م .
١٧. المخصص، على بن إسماعيل المعروف بابن سيدة (ت٤٥٨هـ)، دار الفكر، د.ت.
١٨. مبادئ النقد الادبي، ايفير ارمستونك ري تشاردز، ترجمة، تقديم د . مصطفى بدوي، المؤسسة العامة للتأليف والترجمة، القاهرة، د.ت.

١٩. جمع البيان في تفسير القران، الشيخ أبو علي الفضل بن الحسن الطبري (ت٥٤٨)، عنى بطبعه احمد عازف الزين، مطبعة العرفان، صيدا، سنة١٣٣٣هـ

٢٠. المعجم الفلسفي، جيمل صليبا. دار الكتاب المصري، القاهر، د.ت.

٢١. المعجم الفلسفي، مجموعة من العلماء، عالم الكتب. بيروت، ١٩٧٩.

٢٢. مقدمة القصيدة العربية في الشعر الجاهلي، د. حسين عطوان، دار المعارف بمصر.

٢٣. نظرية اللون، د. يحيى حمودة، دار المعارف، القاهرة، ١٩٧٩م.

الدوريات

١. إحساس الشعراء بالألوان والأصوات، د. جميل سعيد، مجلة كلية الآداب والعلوم، ع ١ ، بغداد، ١٩٥٦م.

٢. التشكيل اللوني في الشعر العراقي الحديث ، محمد صابر عبيد، مجلة الأقلام ع ١١، ١٩٨٩.

٣. التعبير عن اللون في الشعر العراقي القديم، د . دولف ديتريش فيشر، مجلة التربية والعلم، ع ٨، ١٩٨٩.

٤. جدل اللون في شعر خليل حاوي، د. بشرى البستاني، مجلة آداب الرافدين ع ٢٥، ١٩٩٣.

٥. جماليات اللون في شعر زهير بن ابي سلمى، موسى ربابعة، مجلة أبحاث اليرموك، ع٢، ١٩٩٨.

٦. الحساسية الميتافيزيقية في الشعر الحديث، مقاربة لمفهوم الرؤيا في حركة مجلة شعر، حسن مخافي، جسور، ع ٢، ٣، ١٩٩٣ تصدر عن دار الكتب، واشنطن، ١٩٩٢.

٧. دلالات اللون في القران الكريم والحديث النبوي الشريف، د . عياض عبد الرحمن امين الدوري، مجلة المجمع العلمي العراقي، ج١ م ٥٠، ٢٠٠٣م .

٨. الفن والأدب بين الرؤية والرؤيا ، فاضل ثامر، جريدة الثورة، صفحة ثقافية، ١/١١/ ١٩٨٦، العراق.

٩. الألوان في اللغة والأدب، الصادق الميساوي، حوليات الجامعة التونسية، جامعة تونس، ع٣٦ ، ١٩٩٥ .

١٠. الألوان وإحساس الشاعر الجاهلي بها، نوري حمودي القيسي، مجلة الأقلام، ج١١، السنة الخامسة، ١٩٦٩م.

الرسائل والاطاريح الجامعية

١. دلالة اللون في الشعر العباسي في القرن الثالث الهجري، نوري كاظم من سرف، رسالة ماجستير، بإشراف الأستاذ والدكتور هادي الحمداني، كلية الآداب جامعة بغداد، ١٩٩٧.

٢. دلالة اللون في الحديث النبوي الشريف في صحيحي البخاري ومسلم، حمد محمد فتحي الياس، رسالة ماجستير بإشراف الدكتور ميسر حميد سعيد، كلية الآداب، جامعة الموصل، ٢٠٠٤.

٣. الرؤية في شعر ذي الرمة، آن تحسين الحلبي، أطروحة دكتوراه ، بإشراف الأستاذ المساعد الدكتور مؤيد محمد صالح اليوزبكي، كلية الآداب، جامعة الموصل، ٢٠٠٣.

٤. اللون في شعر الحرب والفتوحات الإسلامية في عصر صدر الإسلام ، يونس فيصل كنجو الجرجي، رسالة ماجستير بإشراف الدكتورة : رافعة سعيد حسين السراج، كلية التربية، جامعة الموصل، ٢٠٠٧.

٥. اللون في شعر ذي الرمة ، شيماء خيري فاهم، رسالة ماجستير ، بإشراف الأستاذ الدكتور شاكر هادي التميمي، كلية التربية، جامعة بغداد، ٢٠٠١.